خطبة بعنوان

((رمضان شهر التوبة))

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره, ونعوذ بالله من شرور أنفسنا, وسيئات أعمالنا ,من يهده الله فلا مضل له, ومن يضلل فلا هادي له , وأشهد أنْ لا إله إلا الله وحده لا شريك له, وأشهد أنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه.

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ الله حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُون}[آل عمران:102]

{يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ الله الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ الله كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء:1]

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الله وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعْ الله وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا }[الأحزاب:70-71]

أما بعد:

فإن أصدقَ الحديث كتابُ الله, وخيرَ الهدي هديُ نبينا محمدٍ ـ صلى الله عليه وسلم ـ, وشرَ الأمورِ محدثاتُها, وكلَ محدثةٍ بدعة, وكلَ بدعةٍ ضلالة, وكلَ ضلالة في النار.

عباداالله:

يقول ربنا في كتابه الكريم :{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[النور : 31]

ويقول ـ سبحانه وتعالى ـ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ }[التحريم : 8]

حثنا الله تعالى في هاتين الآيتين على التوبة النصوح, وأمرنا بها, وجعلها سببًا لفوزنا, إذ علق الفلاح بها, فأمرنا سبحانه في الآية الأولى بالتوبة, والأمر يقتضي الوجوب .

وحثنا في الآية الثانية على التوبة النصوح ,وهي التي توفرت فيها شروط التوبة وانتفت موانعها ,وهي:

ـ الإقلاع عن الذنب.

ـ وعدم الإصرار عليه.

ـ والندم على مافات.

ـ والعزم على عدم العودة إلى الذنب.

ـ وإرجاع الحقوق إلي أهلها أوالاستسماح منهم.

ـ وأن تكون التوبة قبل الغرغرة, وقبل طلوع الشمس من مغربها.

قال النووي ـ رحمه الله ـ :" قال العلماء: التوبة واجبة من كل ذنب، فإن كانت المعصية بين العبد وبين الله تعالى لا تتعلق بحق آدمي، فلها ثلاثة شروط: أحدها: أن يقلع عن المعصية .

والثاني: أن يندم على فعلها .

والثالث: أن يعزم أن لا يعود إليها أبداً، فإن فقد أحد الثلاثة لم تصح توبته .

وإن كانت المعصية تتعلق بآدمي فشروطها أربعة: هذه الثلاثة، وأن يبرأ من حق صاحبها: فإن كانت مالاً أو نحوه رده إليه، وإن كانت حد قذف ونحوه مكنه منه أو طلب عفوه وإن كانت غيبة استحله منها ويجب أن يتوب من جميع الذنوب فإن تاب من بعضها صحت توبته عند أهل الحق من ذلك الذنب وبقي عليه الباقي وقد تظاهرت

دلائل الكتاب، والسنة وإجماع الأمة على وجوب التوبة:قال تعالى: :{وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ }[النور : 31] وقال تعالى :{وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ} [هود : 3]

وقال تعالى -: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا }[التحريم : 8]"اهـ

قال المفسر الطبري ـ رحمه الله -:"يقول تعالى ذكره: يا أيها الذين صدقوا الله(تُوبُوا إِلَى اللَّهِ) يقول: ارجعوا من ذنوبكم إلى طاعة الله، وإلى ما يرضيه عنكم(تَوْبَةً نَصُوحًا) يقول: رجوعا لا تعودون فيها أبدا...

وسئل عمر- رضي الله عنه ـ عن قوله:(تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً صالحا) قال: هو العبد يتوب من الذنب ثم لا يعود فيه أبدًا"اهـ

وقال المفسر ابن كثير ـ رحمة الله عليه ـ في قوله تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا } أي: توبة صادقة جازمة، تمحو ما قبلها من السيئات وتلم شعث التائب وتجمعه، وتكفه عما كان يتعاطاه من الدناءات"اهـ.

وقال المفسر السعدي ـ رحمه الله ـ في تفسير قولة تعالى: ((توبو الي الله توبة نصوحا))

قد أمر الله بالتوبة النصوح في هذه الآية، ووعد عليها بتكفير السيئات، ودخول الجنات، والفوز والفلاح، حين يسعى المؤمنون يوم القيامة بنور إيمانهم، ويمشون بضيائه، ويتمتعون بروحه وراحته، ويشفقون إذا طفئت الأنوار، التي لا تعطى المنافقين،

ويسألون الله أن يتمم لهم نورهم فيستجيب الله دعوتهم، ويوصلهم ما معهم من النور واليقين، إلى جنات النعيم، وجوار الرب الكريم، وكل هذا من آثار التوبة النصوح.

والمراد بها: التوبة العامة الشاملة للذنوب كلها، التي عقدها العبد لله، لا يريد بها إلا وجهه والقرب منه، ويستمر عليها في جميع أحواله"اه.

أما من تاب من الذنب ولم يقلع عنه, أو عزم على الرجوع إليه,أو لايزال مسرورا به غير نادم, أو يتركه في وقت ويرجع إليه في وقت, كحال كثير من الناس يتركون الذنوب في رمضان ويعودون إليها في شوال فهذه توبة الكذابين ؛لأنها اختلت فيها الشروط ووجدت فيها الموانع 0

وكذلك الذي لم يرد الحقوق إلي أهلها ولم يستسمح منهم, فإنها لاتزال في ذمته, وسيردها يوم القيامة حسنات الي أصحابها إن لم يردها في الدنيا,وإن تاب فيما بينه وبين ربه؛ لأن حقوق المخلوقين مبنية على المشاحَّة, لا تسقط بمجرد التوبة,وإن كان صادقًا في توبته .

وكذلك الذي يتوب في الوقت الذي فات فيه الأوان, وذلك وقت الغرغرة ونزول سكرات الموت, أو طلوع الشمس من مغربها, فذلك وقت ((لاينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا)),قال تعالى:{ فَنَادَوْا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ} [ص : 3]فليس الوقت وقت توبة, وليس الوقت وقت مفر.

وروى ابن ماجه والترمذي عن عبدالله بن عمر ـ رضي الله عنهما ـ عَنِ النَّبِيِّ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ، قَالَ : ((إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيَقْبَلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ ، مَا لَمْ يُغَرْغِرْ.))

فيا أيها العبد المذنب ـ وكلنا ذلكم المذنب ـ:

لا تيأس من رحمة الله مهما كثرت ذنوبك, فبادر بالتوبة ولا يجوز اليأس من رحمة الله ,فإنك مقبل على كريم غفار تواب ـ سبحانه وتعالى ـ جعل لك بابًا للتوبة مفتوحًا إلى أن تطلع الشمس من مغربها ,مسيرة عرضه أربعين أو سبعين سنة, لايغلق حتى تطلع الشمس من مغربها .

قال ربنا في كتابه الكريم: {قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ *وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ} [الزمر : 53 ، 54]

وفي حديث صفوان بن عسال ـ رضي الله عنه ـ ...قَالَ زِرٌّ فَمَا بَرِحَ يُحَدِّثُنِي حَتَّى حَدَّثَنِي أَنَّ اللَّهَ جَعَلَ بِالْمَغْرِبِ بَابًا عَرْضُهُ مَسِيرَةُ سَبْعِينَ عَامًا لِلتَّوْبَةِ لاَ يُغْلَقُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ قِبَلِهِ وَذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ (يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا) الآيَةَ. رواه الترمذي.

وفي رواية عند البخاري في التاريخ الكبير أن رَسُول اللَّهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قال:" فتح الله بابًا للتوبة من المغرب عرضه مسيرة سبعين عامًا لا يغلق حتى تطلع الشمس من نحوه"

فمن رحمة الله ولطفه بعبده أنه يقبل توبة عبده, ويغفر ذنوبه,مهما كثرت ,إن صدق في توبته, فقد روى الترمذي عن أنس بن مالك ـ رضي الله عنه ـ قال : سمعت رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقول:" قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:ياابْنَ آدَمَ , إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ ولا أبالي , يا ابن آدم لَوْ بَلَغَتْ ذنوبك عَنَانَ السَّمَاءِ , ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي لَغَفَرْتُ لَكَ ولا أبالي وَلَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ خَطَايَا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مَغْفِرَةً "

ومع كثرة ذنوب العباد فإن الله تعالي لايزال يدعوهم إلى التوبة ويحلم عليهم ولم يعاجلهم بالعقوبة.

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ- رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ :« يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ فَيَقُولُ مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ».

وروى مسلم عن أَبي موسى - رضي الله عنه - عن النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم - ، قَالَ : ((إنَّ الله تَعَالَى يَبْسُطُ يَدَهُ باللَّيلِ ليَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيلِ ، حَتَّى تَطلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا))

فتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون, فإن الله سبحانه يغفر الذنوب جميعا, وذلك لمن صدق في توبته, فقد سمى نفسه الغفَّار والغفور والغافر, قال تعالى:{ غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ) [غافر : 3]

فمن لم يتب ومن لم يستغفر فإن الله شديد العقاب كما قال في آية أخرى: {نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ} [الحجر : 49 ، 50]

و روى مسلم عن **أَبِي ذَرٍّ- رضي الله عنه - عَنِ النَّبِيِّ - صلى الله عليه وسلم- فِيمَا رَوَى عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ « يَا عِبَادِى إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِى أَغْفِرْ لَكُمْ.."**

فكل الناس مذنبون وخير المذنبين التوابون , فقد روى ابن ماجه **عَنْ أَنَسٍ - رضي الله عنه - قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ : "كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ ، وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُون".**

وعلَّم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أبا بكر أن يدعو في صلاته: " اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا ، وَلاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ"متفق عليه.

وأبشر أيها المذنب, فإن التوبة تمحو ما قبلها, إذا توفرت شروطها وانتفت موانعها, وهذا من لطف الله وكرمه وحلمه بعباده,وذلك أنهم يعصونه بالليل والنهارفيحلم عليهم ولم يعاجلهم بالعقوبة, حتي إذا ما تابوا تاب عليهم وغفر لهم وعفى عنهم, بل ويبدل سيئاتهم حسنات ,قال تعالى:{ **{إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا}**[الفرقان:70]

أي يمحو سيئاتهم, ويجعل مكانها حسنات بسبب التوبة, أو يجعل مكانها طاعات تزيد من حسناتهم كما ذكر كثير من المفسرين.

فقد روى الطبراني وابن ماجه عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى الله عَلَيْهِ وسَلَّمَ ـ: "التَّائِبُ مِنَ الذَّنْبِ ، كَمَنْ لاَ ذَنْبَ لَهُ".

وفي الصحيحين عن أبي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قال : قَال النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم- فِيمَا يَحْكِى عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ « أَذْنَبَ عَبْدٌ ذَنْبًا فَقَالَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ

فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَبْدِي أَذْنَبَ ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ. ثُمَّ عَادَ فَأَذْنَبَ فَقَالَ أَيْ رَبِّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي. فَقَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَذْنَبَ عَبْدِي ذَنْبًا فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ رَبًّا يَغْفِرُ الذَّنْبَ وَيَأْخُذُ بِالذَّنْبِ وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ ».

أي: إذا كان كذلك ,كلما أذنب ذنبا ندم وتاب واستغفر فإن التوبة تمحو ماقبلها, وليس معناه أنه لم يعمل بشروط التوبة, أو أنه مُصِرٌّ عليها, أو أنه يعزم على معاودة الذنوب,هذا لا يُفهم من الحديث, وإنما معناه أن العبد قد يصدق في توبته, ويعمل بشروطها, لكن مع الأيام ينسيه الشيطان وتسول له نفسه الأمارة بالسوء فيقترف الذنب, وهذا من طبيعة الإنسان, فقد نسي أبونا آدم فأكل من الشجرة وقد نهاه الله عن أكلها كما أخبر تعالي عنه:{وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا} [طه : 115] فنسي آدم ونسيت ذريته, فأخطأ وتاب فتاب الله عليه وهكذا ذريته.

الشاهد أن من رجع إلي الذنب وتاب منه تاب الله عليه, وإن اقترفه مائة مرة, مادام أنه يعمل بشروط التوبة غير متلاعب بها .

قاتل المنذري ـ رحمه الله ـ:" قوله فليعمل ما شاء معناه والله أعلم أنه ما دام كلما أذنب ذنبا استغفر وتاب منه ولم يعد إليه بدليل قوله:" ثم أصاب ذنبا آخر" فليفعل إذا كان هذا دأبه ما شاء؛ لأنه كلما أذنب كانت توبته واستغفاره كفارة لذنبه فلا يضره لا أنه يذنب الذنب فيستغفر منه بلسانه من غير إقلاع ثم يعاوده فإن هذه توبة الكذابين" اهـ

روى البزار والطبراني واللفظ له عَنْ أَبِي طَوِيلٍ شَطَبِ الْمَمْدُودِ، أَنَّهُ أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ:" أَرَأَيْتَ رَجُلا عَمِلَ الذُّنُوبَ كُلَّهَا، فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهَا شَيْئًا، وَهُوَ فِي ذَلِكَ لَمْ يَتْرُكْ حَاجَةً وَلا دَاجَةً إلا أَتَاهَا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ:"فَهَلْ أَسْلَمْتَ؟"قَالَ: أَمَّا أَنَا فَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إلا اللَّهُ، وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، قَالَ:"نَعَمْ , تَفْعَلُ الْخَيْرَاتِ، وَتَتْرُكُ السَّيِّئَاتِ، فَيَجْعَلُهُنَّ اللَّهُ لَكَ خَيْرَاتٍ كُلَّهُنَّ"، قَالَ: وَغَدَرَاتِي وَفَجَرَاتِي؟ قَالَ:"نَعَمْ"، قَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، فَمَا زَالَ يُكَبِّرُ حَتَّى تَوَارَى.

المهم أن المذنب إذا صدق في توبته, وحسن حاله, فإن الله يتوب عليه, لما روى الطبراني عن أَبِي ذَرٍّ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :"مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى, وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ"

ويكفي التائب شرفًا وفخرًا أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يفرح بتوبته أشد من فرح عبد أيقن بالموت والهلاك ثم أتاه الفرج فأخطأ بالقول من شدة الفرح.

ففي الصحيحين عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ – رضي الله عنه - قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم-:« لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلاَةٍ فَانْفَلَتَتْ مِنْهُ وَعَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ فَأَيِسَ مِنْهَا فَأَتَى شَجَرَةً فَاضْطَجَعَ فِي ظِلِّهَا قَدْ أَيِسَ مِنْ رَاحِلَتِهِ فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ إِذَا هُوَ بِهَا قَائِمَةً عِنْدَهُ فَأَخَذَ بِخِطَامِهَا ثُمَّ قَالَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ.
أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ ».

فمن صفات الله تعالى صفة الفرح,وهي صفة تليق به ـ سبحانه ـ بلا تمثيل ولا تكيف ولاتعطيل :{لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} [الشورى : 11]

فإياك ياعبد الله والتساهلَ بالتوبة أو تأخيرها,أو التسويف بها, فإن التسويف من عمل الشيطان, فبعض الناس من يوسوس له الشيطان بتأخير التوبة بحجة أنه لايزال

صغيرًا, أو شابًا,وأنه سيتوب في المستقبل,أو بعد أن يؤمن مستقبله, أومايزال أمامَه متسع من الوقت يتمكن فيه من التوبة , أو أنه سيتوب بعد أن يتزوج,أو غير ذلك, فذلك من خطوات الشيطان,وقد نهينا عن اتباع خطوات الشيطان قال تعالى:{ **{ يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ومن يتبع خطوات الشيطان فإنه يأمر بالفحشاء والمنكر }** [النور :21] .

فنقول:إن هذا المُسَوِّف للتوبة على خطر عظيم, لأمور:

إحداها: أنه لا أحد يضمن له أنه سيعيش إلي أن يتوب, فلربما فاجأه الأجل ومات قبل أن يتوب,ومن ثَمَّ يندم ويخسرخسارة ربما لايسعد بعدها أبدا .

ثانيها :أن هذه الذنوب التي يزاولها ويمنِّي نفسه بالتوبة منها ربما أقفلت على قلبه فلا يصله خير, ويصير عليها الأكنة, ويصيبه الران, ولا يتمكن من التوبة أبدًا بسبب تلك الذنوب التي سببت لقلبه القساوة والشقاوة,فإن الذنوب إذا اجتمعت على العبد أهلكته .

فقد روى الترمذي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنْ رَسُولِ اللهِ ـ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ قَالَ: "إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ {كَلاَّ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ}.

ثالثها: أن الذي يعجل التوبة خير من الذي يؤخرها, وذلك أن حسناته تزيد وعمله يزكو وربما كان ذلك سببًا لحسن خاتمته, فقد روى الترمذي عن أبي بكرة ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَجُلاً قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ؟ قَالَ: « مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَحَسُنَ عَمَلُهُ ». قَالَ فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: « مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ ».

رابعها:إن أعظم مستقبل لهو دين الله, وإن أعظم مستقبل لهو جنة عرضها السماوات والأرض,وأما مستقبلات الدنيا فإنها فانية وزائلة,فالعاقل اللبيب هو الذي يقدم الباقي على الفاني,فيؤثر الأخرى على الدنيا,وإن الغافل هو الذي يقدم الفاني على الباقي,

وأن التوبة والإقبال على العبادات لهي من أعظم أسباب نيل الأرزاق وتأمين المستقبلات بإذن الله رب العالمين.

نسال الله أن يطيل أعمارنا ويحسِّن اعمالنا وأن يرزقنا التوبة النصوح.

الخطبة الثانية:

الحمد لله التواب, الذي يقبل توبة من تاب, ويوفق للتوبة كل أواب ,ويغفر لمن استغفر وأناب, غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب.

أما بعد:

عباد الله :

فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ أكرمنا بهذا الشهر المبارك, وفضله على سائر الشهور, وجعل فيه الأعمال مباركة, والأجور مضاعفة , فاغتنموا هذا الشهر بالأعمال الصالحة, والتوبة الصادقة.

فإن أبواب الجنة مفتحة ,وأبواب النار مغلقة, والشياطين مصفدة ,فحري بالعباد أن يغتنموا ذلك بالخيرات, وفرصة للعصاة أن يتوبوا إلي رب البريات, وأن يعرضوا عن الشهوات, فيسارعوا بالحسنات ويهجروا المعاصي والسيئات .

ففي هذه الأيام فرصة للتائبين ,وتكفير للمذنبين, ربما لا يجدون مثلها في سائر أيام السنة, فليس لها عوض في غيرها إلا ان يشاء الله, فمن لمن يوفق للتوبة في هذا الشهر فربما لا يوفق في غيره إلا أن يشاء الله تعالى؛ لأن الشياطين شرهم قليل في هذه الأيام ,ويكثر إقبال العباد على الله بفعل الخيرات وترك المنكرات, فالداعي للطاعات قوي في هذا الشهر المبارك, بينما داعي الشر والشهوات ضعيف, فالقلوب مقبلة على بارئها ـ سبحانه وتعالى ـ, فلا تكن من المعرضين, والناس مقبلون على رب العالمين بالطاعات, وأنت مقبل على الذنوب والسيئات, فإن القلوب في هذه الأيام خاشعة, مقبلة ذليلة, فلا تكن من أصحاب القلوب القاسية ,فإن رب العزة والجلال يقول في كتابه الكريم :{ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ فِي ضَلاَلٍ مُبِينٍ}[الزُّمَر:22]

فقد روى البخاري ومسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِذَا جَاءَ رَمَضَانُ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ النَّارِ، وَصُفِّدَتِ الشَّيَاطِينُ»

وفي رواية عند البخاري «إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَمَضَانَ فُتِّحَتْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَغُلِّقَتْ أَبْوَابُ جَهَنَّمَ، وَسُلْسِلَتِ الشَّيَاطِينُ»

وفي رواية لمسلم: "فُتِّحَتْ أَبْوَابُ الرَّحْمَةِ".

وفي رواية عند الترمذي:" وينادي منادٍ: "يا باغي الخير أقبل، ويا باغي الشر أقصر".

فأقبل على ما ينفعك ,وأعرض عما يضرك ,واحرص على أن تكون من عتقاء الرحمن من النار في هذا الشهر المبارك, واحرص على أن تكون مستجاب الدعوة في هذا الشهر ,فإن لله عتقاء في كل ليلة من رمضان, ولكل صائم دعوة مستجابة في كل يوم وليلة ,فادعُ الله أن يوفقك للتوبة, وأن يفرج همك, وييسر أمرك, ويقضي دينك, ويدخلك الجنة وينجيك من النار, وأن يعيذك من الفتن, ومن الذنوب والمعاصي, وادعُ بما شئت فإن الله قد أمرك بالدعاء ووعدك بالإجابة, قال تعالي :{وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} [غافر : 60]

فقد روى الإمام أحمد عَنْ أَبِي سَعِيد ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ـ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ـ: " إِنَّ لِلَّهِ عُتَقَاءَ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، وإن لِكُلِّ مسلم في كل يوم وليلة دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ "يعني في رمضان.

فيا عبد الله: اغتنم هذا الشهر بالتوبة النصوح, فإنه كفارة السنة, فقد روى مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ: «الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ».

فتوبوا إلى الله من جميع الذنوب والمعاصي, توبوا منها بجميع جوارحكم, فإن للعين ذنوبًا وللأذن ذنوبًا وللسان ذنوبًا ولليد وللرِجل ذنوبًا.

ـ فالعين تحتاج إلى توبة وتوبتها يكون بغض النظرعن الحرام, ومنه حجب النظر إلى النساء الأجنبيات,وسواء كان النظر مباشرًا أو غيرمباشر كالجرائد والمجلات وشاشات الجوالات والدشوش والتلفزيونات من مشاهدة المسلسلات والنظر إلى الممثلات والراقصات والمغنيات ,كل هذه من الذنوب التي تحتاج الي توبة .

والأذن تحتاج إلى توبة ,وتوبتها يكون من الاستماع إلى الأغنيات وأدوات المعازف والملهيات,وسواء سميت أناشيد أو زوامل أو قصائد أو شيلات أو نحو ذلك, فمهما غيروا أسماءها فذلك لا يغير في حكمها, فإن كل كلام اشتمل على أدوات معازف وطرب فهو أغاني محرمة, يفسد القلب ويغضب الرب, ويورث النفاق ويجر إلى الفاحشة والعياذ بالله.

وأدلة تحريم الأغاني كثيرة جدا منها: قوله تعالى:{ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ} [لقمان : 6]

وقدفسر ابن عباس وابن مسعود ـ رضي الله عنهم ـ لهو الحديث بالأغاني.

وقوله تعالى:{ وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء : 64]

فسر ابن كثير وغيره صوت الشيطان في هذه الآية بالأغاني.

وأما الأحاديث في تحريم الأغاني فهي كثيرة ,يطول المقام بسردها .

ـ واللسان يحتاج إلى توبة وتوبته يكون بإمساكه عن الكذب والغيبة والنميمة وقول الزور ونحو ذلك, فقد روى البخاري عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ

الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ»

وفي رواية عند النسائي: "من لم يدع قول الزور والجهل والعمل به فليس لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» .أي أن الله لا يريدهذا الصيام .

ومعنى قوله:"والجهل":أي الجهل على الناس بالسب والشتم.

وروى الحاكم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " لَيْسَ الصِّيَامُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ إِنَّمَا الصِّيَامُ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، فَإِنْ سَابَّكَ أَحَدٌ، أَوَجَهِلَ عَلَيْكَ فَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ".

ـ والبطن يحتاج إلى توبة ,وتوبته يكون بالابتعاد عن اللقمة الحرام والشربة الحرام, فقد ثبت عند ابن حبان عن جابر ـ رضي الله عنه ـ أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: "يا كعبَ ابن عجرة إنه لا يدخل الجنةَ لحمٌ نبت من سحت". أي من حرام.

وفي رواية للترمذي: "إِنَّهُ لاَ يَرْبُو لَحْمٌ نَبَتَ مِنْ سُحْتٍ إِلاَّ كَانَتِ النَّارُ أَوْلَى بِهِ".

ـ واليدان والرجلان يحتاجان إلى توبة ,وتوبة اليدين والرجلين كَفُّهُما عن المشي إلى الحرام ولمس الحرام فقد روى البخاري ومسلم واللفظ لمسلم عن أَبِى هُرَيْرَةَ ـ رضي الله عنه ـ عَنِ النَّبِي ـصلى الله عليه وسلم ـ قَالَ « كُتِبَ عَلَى ابْنِ آدَمَ نَصِيبُهُ مِنَ الزِّنَى مُدْرِكٌ ذَلِكَ لاَ مَحَالَةَ فَالْعَيْنَانِ زِنَاهُمَا النَّظَرُ وَالأُذُنَانِ زِنَاهُمَا الإِسْتِمَاعُ وَاللِّسَانُ زِنَاهُ الْكَلاَمُ وَالْيَدُ زِنَاهَا الْبَطْشُ وَالرِّجْلُ زِنَاهَا الْخُطَا وَالْقَلْبُ يَهْوَى وَيَتَمَنَّى وَيُصَدِّقُ ذَلِكَ الْفَرْجُ وَيُكَذِّبُهُ ».

وفي رواية عند أحمد:" واليد تزني وزناها اللمس والرجل تزني وزناها المشي"الحديث

فهنيئا لمن تاب وقبلت توبته, وغفر ذنبه, وعتقت رقبته.

اللهم ارزقنا توبة قبل الممات,وتوبة بعد الممات, اللهم وفقنا للتوبة النصوح,واجعلنا من المقبولين, اللهم اجعلنا من عتقائك من النار, واغفر لنا في هذا الشهر الكريم, واجعلنا فيه من الفائزين, ولاتجعلنا من المحرومين, ولامن المطرودين, برحمتك يا أرحم الراحمين .